أسباب تفرع اللغة إلى لهجات

بحث في علم اللغة

إعداد أ/ شادية بيومي حامد
قسم الدعوة وأصول الدين
كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
shadia@mediu.ws

خلاصة—هذا البحث يبحث في الأساس الأول في أسباب تفرع اللغة إلى لهجات ، الاختلاف الفردي في الكلام، والقياس الخاطئ.

الكلمات المفتاحية : أسباب تفرع اللغة إلى لهجات ، الاختلاف الفردي في الكلام، والقياس الخاطئ.

I. *المقدمة*

يوجد لهجات كثيرة في شبه الجزيرة العربية : الإدغام، والإظهار، والفحفحة، والكشكشة... إلى آخره، هذه اللهجات كانت نتيجة للفواصل في شبه الجزيرة العربية؛ لأن الفواصل في شبه الجزيرة العربية كانت كالحدود السياسية الآن، يعني كانت تشبه الحدود السياسية بين البلدان العربية الآن.

II. موضوع المقالة

يوجد لهجات كثيرة في شبه الجزيرة العربية : الإدغام، والإظهار، والفحفحة، والكشكشة... إلى آخره، ه ذه اللهجات كانت نتيجة للفواصل في شبه الجزيرة العربية؛ لأن الفواصل في شبه الجزيرة العربية كانت كالحدود السياسية الآن، يعني كانت تشبه الحدود السياسية بين البلدان العربية الآن.

ويمكننا إرجاع تفرع اللغة إلى لهجات إلى الأسباب الآتية:

أولًا: الفواصل الجغرافية: إذا كان المتكلمون باللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة، وتفصل الجبال، أو الوديان، أو غيرها من الفواصل الجغرافية بقعة عن بقعة أخرى؛ فإن هذه الفواصل تعزل هذه البيئات بعضها عن بعضها الآخر، وتؤدي -مع الزمن- إلى تكوين لهجات في اللغة الواحدة.

وهذا ما حدث للغة العربية؛ فقد تفرعت إلى لهجات؛ حيث انتشرت القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية المترامية الأطراف بين سهول وهضاب، وأودية وجبال، وسواحل وصحار؛ فانفصلت كل بيئة عن الأخرى؛ فالذين يعيشون في بيئة صحراوية بادية غير مستقرة، مثلًا: في نجد والعروض يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين يعيشون بمناطق الحضارة والاستقرار في الحجاز وتهامة واليمن.

ولم تسلم البيئة العربية من تلك الفواصل في عصرنا الحاضر؛ حيث نجد اختلافًا بين البيئات المتعددة، فضلًا عن الحدود السياسية والتي تقف حاجزًا ليس من اليسير اختراقه.

فعندنا مثلًا ا لوطن العربي، الفواصل السياسية بين ليبيا ومصر : قبائل أولاد عل ي ينقسمون بين الدولة الليبية والدولة المصرية ؛ والحدود السياسية هي التي تفصل بين الذين يعيشون في ليبيا والذين يعيشون في مصر.

إذن الفواصل السياسية الآن تقوم مقام الفواصل الجغرافية قديمًا : القبيلة الواحدة تفصل الحدود السياسية بين قسميها.

ثانيا: الانعزال الاجتماعي: ونعبر عنه بأنه فواصل الطبقات.

الانعزال الاجتماعي، واختلاف الظروف الاجتماعية بين البيئات المختلفة لهما تأثيرهما الذي لا يستهان به في تفرع اللغة إلى لهجات؛ فكل طبقة من طبقات المجتمع تتخذ لهجة مختلفة عن الطبقة الأخرى تلائمها وتتناسب معها؛ فالطبقة الأرستقراطية مثلًا تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى، أو الطبقة الدنيا من المجتمع، ولهجة الصناع تخالف لهجة الزراع.

ولذا يقرر فندريس - مؤلف كتاب (اللغة)- أن العاميات الخاصة تتميز بتنوعها الذي لا يحد؛ وأنها في تغير دائم تبعًا للظروف والأمكنة؛ فكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة بها.

كل طائفة من طوائف المجتمع تستعمل بعض الألفاظ في معاني خاصة لا تدركها غيرها من الطوائف التي تعيش معها ، فمثلًا يستعمل النجارون بعض المصطلحات الخاصة بهم، وكذلك الحدادون... حتى اللصوص وطريدو القانون لهم اصطلاحاتهم الخاصة بهم، وهذه اللغات الخاصة أو العاميات الخاصة كاللهجات تمامًا: يقول "فندريس": "اللغات الخاصة تنشأ من الانفصال الاجتماعي؛ لذلك كانت -من حيث المبدأ- كاللهجات تمامًا؛ ولكنها تقوم دائمًا على مادة لغة مشتركة؛ فالعزلة الاجتماعية هذه إذا انضمت إلى العزلة الجغرافية ساعدت على تفرع اللغة إلى لهجات.

ثالثا: احتكاك اللغات واختلاطها نتيجة غزو أو هجرات أو تجاور؛ حيث يعد الصراع اللغوي بين اللغات من العوامل الخطيرة التأثير في انقسام اللغة وتفرعها إلى لهجات؛ بل يقرر "فندريس" أن تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعد أمرًا مثاليًّا لا يكاد يتحقق في أية لغة؛ بل على العكس من ذلك فإن الأثر الذي يقع على لغة من لغات مجاورة لها، كثيرًا ما يلعب دورًا هامًّا في التطور اللغوي.

فإذا عاش الطفل أو عاش هؤلاء الأطفال بعيدًا عما يقوِّ م ألسنتهم، ويصلح خطأهم كأن يكون آباؤهم مشغولين في طلب الرزق في بلاد أخرى، فإن هذه الانحرافات والأخطاء تصبح بمرور الزمن لهجة اعتادوها وتمسكوا بها، ويُحتمل أن تكون لهجة تميم - قبيلة تميم في شبه الجزيرة العربية- في بناء اسم المفعول من الأجوف اليائي بالإتمام؛ قياسًا على الفعل الصحيح- من هذا القبيل، ثم أصبحت بمرور الزمن لهجة خاصة بلهجة تميم؛ لأن لهجة تميم يصححون اسم المفعول من الأجوف اليائي فيقولون في مدين : مديون بالإتمام، هذه اللهجة طبعًا يحتمل أن تكون من الخطأ في الأقيسة؛ لأنهم قاسوا الأجوف على الصحيح، فالصحيح يقولون مثلًا: مفعول نبني الكلمة على اسم المفعول قياسًا على الفعل الصحيح، مثلًا: غمر اسم المفعول منها مغمور.

لأنه فعل صحيح، إنما دان نقول فيه : مدين وليس مديون ؛ فإذن هذا قياس خاطئ ، بمرور الزمن أصبح لهجة من اللهجات العربية وهي لهجة تميم..

فإذن الأخطاء التي يخطئ فيها الأطفال، والذين يعتادون أن يتكلموا بها من وجهة نظرهم أنها صحيحة، ولكنها في الواقع تجانب الصواب ، وهذا القياس الخاطئ قد يصبح بمرور الوقت لهجة خاصة.

المراجع والمصادر

١. ماريو باي، أسس علم اللغة ، ترجمة: أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣م.
٢. أبو الفتح ابن جني، الخصائص، تحقيق : محمد علي النجار ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م.

٣. إبراهيم أبو سكين، اللهجات العربية والقراءات القرآنية، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، الزقازيق، ٢٠٠٦م.
٤. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧ م.
٥. ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، بيروت، دار القلم، ١٩٨٠م.
٦. صبحي الصالح، بيروت ، دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.
٧. إبراهيم أبو سكين، علم الدلالة، الزقازيق، دار الزهراء للطباعة، ٢٠٠٣م.
٨. إبراهيم أبو سكين، علم الصوتيات، وتجويد آيات الله البينات، كلية اللغة العربية، الزقازيق، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م.
٩. كمال بشر، القاهرة، علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب للطباعة والنشر ، ١٩٩٧م.
١٠. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعاجم، جامعة الملك سعود، عماد شئون المكتبات، ١٩٩١م.
١١. إبراهيم أبو سكين، علم اللغة، الزقازيق، دار الزهراء للطباعة، ١٩٩٧م.
١٢. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، ١٩٧٢ م .
١٣. أحمد علم الدين الجندي، عن التعاقب والمعاقبة من الجانب الصوتي الصرفي، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٤٠، نوفمبر ١٩٧٧م.
١٤. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م.
١٥. رمضان عبد التواب ، في أصول اللغة ، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٤٠، نوفمبر ١٩٧٧م.
١٦. إبراهيم أبو سكين، مناهج البحث في اللغة، القاهرة، دار الفاروق الحديثة للطبع والنشر، ١٩٩٦م.